DOI: https://doi.org/10.22452/ris.vol10no1.9 Vol. 10 No. 1 (2023): 145-156

ONLINE JOURNAL OF RESEARCH IN ISLAMIC STUDIES
المجلة المحكمة عبر الانترنت في الدراسات الإسلامية
UNIVERSITI MALAYA
Akademi Pengajian Islam

Received: 2022-03-25 Accepted: 2022-12-17 Published: 2022-12-19

Original Article

حركة التفسير في الجزائر قبل ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

The interpretation movement in Algeria before the birth of the Algerian Muslim Scholars Association

Kamel Hayoune[a*], Muhamad Alihanafiah Norasid[b] & Mustaffa Abdullah[b]

[a] Postgraduate Student, Department of Al-Quran & Al-Hadith, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya, Kuala Lumpur
[b] Department of Al-Quran & Al-Hadith, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya, Kuala Lumpur
*** Corresponding author, email: kamel.hayoune30@gmail.com**

ملخص:

يتناول البحث دراسة حركة التفسير في مرحلة من مراحل تطورها في الجزائر، والتي تمتد من أواخر العهد العثماني إلى فترة ما قبل ميلاد جمعية العلماء المسلمين. يهدف البحث إلى التعرُّف على مفسّرين تلك المرحلة وآ رهم في التفسير، كما يهدف إلى استخلاص نتيجة ملامح التفسير في تلك المرحلة وأسبابها. وقد خلص البحث إلى ذكر جملة من المفسّرين الجزائريين الذين انشغلوا لتفسير في أرض الجزائر آنذاك، سواء المنشغلين لتفسير الكتابي أم الشفاهي، مع إبراز آ رهم التفسيرية المكتوبة. كما خلُص البحث إلى حالة حركة التفسير آنذاك بأنها ضعيفة تقليدية ابتُليت لركود، وذلك لعدّة أسباب وعوامل نجمت من جوانب مختلفة.

الكلمات المفتاحية: حركة التفسير، الجزائر، العهد العثماني، العلماء الجزائر، و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ABSTRACT

The research deals with the study of the interpretation movement in one of the stages of its development in Algeria which extends from the late Ottoman era to the period before the birth of the Algerian Association of Muslim Scholars. The research aims to identify the interpreters of that stage and their books in interpretation, and it also aims to derive the result of the features of the interpretation in that stage and their causes. The research concluded by mentioning a several of Algerian interpreters who were preoccupied with interpretation in Algeria at that time, whether they were preoccupied with written or oral interpretation. Highlighting their written books in interpretation. The research also concluded that the state of the interpretation movement at that time was weak and traditional and plagued by stagnation because of several reasons and factors that arose from different sides.

Keywords: The Interpretation Movement; Algeria; The Ottoman Era; Algerian scholars, & The Algerian Muslim Scholars Association

المقدمة

عرفت الجزائر في كثير من المحطات التي عاشتها حركاتٍ متباينةٍ في التفسير، ويمكن تقسيم هذه المراحل إلى أربعٍ منذ العهد العثماني، فعهدت حركةً تفسيريةً في العهد العثماني بملامحها الخاصة، وحركةً تفسيريةً بعد العهد العثماني إلى غاية ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931م، وكانت لهذه المرحلة ملامحها وظروفها الخاصة أيضا، ثم جاءت المحطة الثالثة أين ازدهرت فيها حركة التفسير في عصر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم المحطة الأخير، وهي ما بعد الجمعية إلى يومنا هذا.

و تي هذا البحث ليسلّط الضوء على حركة التفسير في الجزائر منذ أواخر العهد العثماني في الجزائر إلى غاية ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فيسرد البحث المفسّرين في الجزائر في تلك الفنزة، من كان منهم مشتغلا لتفسير الكتابي، والشفاهي كذلك، مع ذكر آ رهم في التفسير، ثم يعرّج على الوضع العالم للتفسير وقتئذ، ويحلّل أسباب ذلك الوضع.

وتم تقسيم هذا البحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: المفسّرون في الجزائر قبل ميلاد الجمعية

الفرع الأول: المفسّرون المشتغلون لتأليف الكتابي للتفسير

الفرع الثاني: المفسّرون المشتغلون لتدريس الشفاهي للتفسير

المطلب الثاني: التفسير في الجزائر ما قبل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الفرع الأول: ملامح التفسير في الجزائر قبل ميلاد الجمعية

الفرع الثاني: أسباب جمود حركة التفسير في الجزائر قبل ميلاد الجمعية

ثم يُختم البحث بخاتمة يُذكر فيها أهم نتائج البحث، والتوصيات التي يقدمها الباحث للطلبة والباحثين فيما يتعلق بموضوع البحث.

المطلب الأول: المفسّرون في الجزائر قبل ميلاد الجمعية

قبل الشروع في ذكر المفسّرين الجزائريين الذين نشطوا في فنزة ما قبل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي تبدأ من أواخر العهد العثماني ثم الاحتلال الفرنسي، فإنه يحسن التنبيه إلى أن الكثير من العلماء الجزائريين قد بَرعوا في التفسير، واشتُهروا فيه داخل الجزائر وخارجها، وكان لبلد الجزائر الشرف العظيم أن كان أولئك الأعلام من رحِمِها، إلا أنه ليس كل من نُسِبَ إلى الجزائر فإنه قد نشط فيها، أو درّس فيها، أو ألّف فيها، وخير مثال على ذلك الشيخ الطاهر الجزائري (ت: 1920م)، الذي اشتغل لتفسير وترك تفسيرا سمّاه تفسير القرآن الكريم في أربع مجلدات، لكنه لم يعش في الجزائر

ولا يوماً حتى يكون له نشاط و ثير على حركة التفسير في الجزائر، ومِثلُه الشيخ محمد السَّنباوي المازوني[1] الأزهري (ت: 1817م)، ولد بمصر، وفيها تعلّم ودرّس، ومنها ذاع صيته في المغرب والشام والعراق[2]، وخلّف أربع مصنفات في التفسير[3]، ودرّس في حلقاته لأزهر تفسير الكشّاف للزمخشري، كلّ هذا الجهد والنشاط كان في بلاد غير بلاد الجزائر، ولم يكن له أثر أو ثير على بلده الأصلي. وعليه فإن من سيُتلى ذكره في هذا المطلب هو كل من كان جزائر وله اشتغال لتفسير ونشط فيه لتأليف أو التدريس في أرض الجزائر.

الفرع الأول: المفسّرون المنشغلون لتأليف الكتابي للتفسير

- يوسف بن عدون بن الشيخ حمو والحاج اليزقني (ت: بعد 1808م)، من مفسّري الإ ضية، وذكر نويهض أن له حاشية على البيضاوي[4]، لكن بعد الرحلة التي قام بها الباحث عبد الغاني عيساوي إلى منطقة غرداية، والبحث في مكتباتها العامة والخاصة، وسؤال أهل الاختصاص في هذا الفن، وصل إلى إجماعهم أن ما ذكره نويهض في ترجمته خطأ، وأنه لم يُعلم لابن عدّون حاشية على البيضاوي[5]، ولا يسع في هذا المقام نسبة أي تفسير إلى حاشية ابن عدّون، ويكتفى لجزم ن له حاشية على تفسير من التفاسير.
- إبراهيم بن بيحمان اليسجني (ت: 1816م)، أحد أعلام الإ ضية المفسّرين الذين خدموا التفسير ليفا، له في التفسير تصانيف لا يزال أغلبها مخطوطا، وهي: تفسير آ ت النور من سورة النور، المعدن المصون على سورة الكنز المدفون[6] وهو تفسير لسورة الفاتحة، أصداف الدر وأكمام الزهر الموضوعة على سورة العصر[7]، حاشية على تفسير البيضاوي[8]، وكلها مخطوطة.
- محمد بن عبد بن موسى الزجّاي (ت: 1818م)، أحد أعلام التفسير بحاضرة تلمسان، يقول عنه أبو القاسم سعد : "وللزجاي مجموعة من التآليف في التفسير والنحو والتصوف. ويهمنا من أعماله ما فسره من القرآن. فقد عد له أحد منزجميه تفسير الخمسة الأولى، وهو تعبير غير واضح، فهل هو تفسير السور الخمس الأولى أو تفسير الأجزاء الخمسة الأول؟ وعلى كل حال فإن التعبير يدل على أن هذا التفسير غير كامل وأنه تناول فيه جزء

---

[1] نسبة إلى مدينة مازونة بولاية غِليزان الجزائرية.

[2] أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحديث بفضل ربي ونعمته، تحقيق: محمد عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص60.

[3] كلها لا تزال مخطوطة، وهي: شرح رسالة الصبان في جملتي البسملة والحمدلة، تفسير المعوّذتين، تفسير سورة القدر، الرّبح المؤبّد في الصلاة على سيد محمد، وهذه الأخيرة رسالة في معنى آية الصلاة على النبي في سورة الأحزاب: 56.

[4] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980م، ص179-180.

[5] عبد الغاني عيساوي، أعلام التفسير في الجزائر، رسالة دكتوراه، 2016م، ص275.

[6] يوسف بن بكير الحاج سعيد، ريخ بني ميزاب، المطبعة العربية، الجزائر، ط: 3، 2014م، ص117.

[7] بشير ضيف بن أبي بكر، فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، دار لة، الجزائر، ط: 3، 2007م، ص39.

[8] محمد بن موسى عمي وآخرون، معجم أعلام الإ ضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 2000م، 13/2.

فقط من القرآن الكريم. كما ذكر له مترجمُه[9] حواش كثيرة في التفسير وغيره"[10]، وهذا يدل على كثرة عناية لتأليف في التفسير.

- أبو راس، محمد بن محمد الراشدي (ت: 1823م)، أحد رجالات التفسير في الجزائر، أخذ علم التفسير عن جملة من المشايخ، منهم الشيخ عبد الملك الحنفي المفتي الشامي[11] الذي أجازه برواية تفسير سورة النور، وتفسير ابن عطية عن الشيخ محمد بن بنيس[12]، والشيخ المفسر الأمير الكبير الذي أخذ عنه تفسير الكشّاف لأزهر الشريف[13]، خدم التفسير ليفا وتدريسا، وألّف تفسيرا أسماه مجمع البحرين ومطلع البدرين بفتح الجليل للعبد الذليل في التيسير إلى علم التفسير، وذكر أنه "في ثلاثة أسفار ما أبركَها من قُربَى، في كل سِفْرٍ عشرون حز ، طالما تكلمت فيه نقلا من كتاب شيخ أو فيه مع الزمخشري والبيضاوي وابن عطية وغيرهم، فيالها من عطيّة"[14]، ولا يُعلم لهذا التفسير أثر، إلا أن له تفسير آخر لا يزال مخطوطا أسماه الإبريز والأكسير في علم التفسير[15].
- عثمان بن سعيد المستغانمي (ت: ق13 ه)، مفسّر نحوي وفقيه مالكي، له تفسير القرآن الكريم، كبير وصغير[16]، "وهو بهذا الوصف أحد أعلام الجزائر في التفسير الذين صنّفوا لتفسير بمؤلّفين، الأول: التفسير الكبير، والثاني: التفسير الصغير، ويحتمل كون الثاني تلخيصا للأول، أو أن الثاني كان للمبتدئين، على عادة بعض الشيوخ في اختصار بعض كتبهم للطلبة المبتدئين"[17]. ولا يعلم عن تفسيريه أثر.
- محمد بن عيسى الجزائري (ت: 1892م)، من الكتاب البلغاء، عارف للغة والتفسير[18]، ألّف تفسيرا أسماه الثُّرّ لمن كان بعجائب القرآن حفيّا[19]، وقد طُبع في تونس سنة 1889م[20]، وله أيضا: الماس في احتباك يعجز الجِنة والناس، وهو تفسير لقوله تعالى: {وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ا ّ مِنبَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (النور: 33)[21]، وقد طُبع في تونس سنة 1888م[22].

---

[9] إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر، مخطوط لمكتبة الوطنية بباريس، ونسخة أخرى بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لر ض.

[10] أبو القاسم سعد ، ريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 19/2.

[11] محمد عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1982م، 150/1.

[12] أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحديث بفضل ربي ونعمته، مرجع سابق، ص118.

[13] المرجع نفسه، ص60.

[14] المرجع نفسه، ص179.

[15] مختار البوعناني، اهتمام الجزائريين لقرآن الكريم -بيبليوغرافيا ط: 1، 2002م.

[16] المرجع نفسه، ص297.

[17] عبد الغاني عيساوي، أعلام التفسير في الجزائر، ص222.

[18] معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مرجع سابق، ص112.

[19] عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين التونسيين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م، 573/3.

[20] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م، 26/2.

[21] عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مرجع سابق، 573/3.

[22] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، 26/2.

- محمد بن يوسف الطفيّش (ت: 1914م)، يُعدّ من كبار مفسّري الإ ضية، عُرف فضلا عن التفسير لفقه واللغة والأدب، ألّف تفسيرا أسماه هميان الزاد ليوم المعاد[23]، وقد طُبع في زنجبار في 13 مجلّدا[24]، وألّف أيضا التيسير في التفسير، وطبع في مصر عام 1982م في 14 جزء[25]، وله أيضا داعي العمل ليوم الأمل، في أربعة أجزاء، فسّر فيه من سورة الرحمن إلى سورة الناس[26].
- محمد المكي المصطفى بن عزوز البرجي (ت: 1916م)، وهو عالم كبير وفقيه ومسند إفريقيا، درس على علماء الجريد، ودرس في الزيتونة، وهو شيخ المفسّر المشهور محمد الخضر حسين، له مؤلفات كثيرة في التفسير، أشهرها تنظيف الوعا من سوء فهم في آية ليس للإنسان إلا ما سعى، وله أيضا تهذيب التفاسير القرآنية، والفائدة من تفسير سورة المائدة إلا أنه لم يتم، وله أيضا مروَى الظمآن في قوله تعالى إنما يخشى َ من عباده العلماءُ، ومزيل الإشكال في آية ولو أسمعهم في سورة الأنفال[27].
- صالح بن عمر بن داود لَعلِي (ت: 1928م)، من مفسّري الإ ضية، دَرَس في معهد القطب كتباً عالية في التفسير، ودَرَس في جامع الزيتونة وجامع الأزهر، جلس للتدريس في سنٍّ مبكرٍ خلفا لشيخه از ر، وكان قويّ الذّاكرة، وإليه كان يرجع القرّاء إذا اختلفوا، له تفسير القول الوجيز في كلام العزيز، لم يكمله ولا يزال مخطوطا إلى الآن[28].
- أحمد بن مصطفى المستغانمي العلوي (ت: 1933م)، من المتصوفة المشتغلين لتفسير، عُرف بعدائه الصريح للدعوة الإصلاحية الإسلامية التي قادتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قال أحمد توفيق المدني في مذكراته وقد ذكر ابن عليوة: "لا أزال في حيرة من أمره ولن أزال، كيف تمكن من إنشاء طريقة صوفية وهو شبه أمي؟ وكيف كان له سلطان على الناس وهو لا يكاد يبين؟" له تفسير سورة العصر، وله أيضا لباب العلم في سورة النجم[29].
- عمر راسم البجائي (ت: 1959م)، صحفي وخطاط كبير، اشتهر بخطه العربي الجميل ومقدرته في رسم المنمنمات، وكان من أوائل الجزائريين المعتنقين لمذهب الأستاذ الإمام محمد عبده الإصلاحي، له تفسير القرآن الكريم، وقد كتبه في سجنه[30].

الفرع الثاني: المفسّرون المنشغلون لتدريس الشفاهي للتفسير

[23] عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مرجع سابق، 786/3.

[24] يوسف سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص1926.

[25] معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مرجع سابق، ص19-21.

[26] عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، 786/3.

[27] محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، مرجع سابق، 385/3-388.

[28] محمد بن موسى عمي وآخرون، معجم أعلام الإ ضية، مرجع سابق، 229/2.

[29] معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مرجع سابق، ص367.

[30] المرجع نفسه، ص243.

هذا النوع من التفسير هو المتوفر بكثرة مقارنة لتأليف في العهد الفرنسي في الجزائر قبل جمعية العلماء المسلمين[31]، وفيما يلي ذكر أشهر المدرّسين للتفسير في تلك الحقبة:

- أبو العبّاس أحمد العباسي (ت: 1835 ه)، أخذ العلم عن شيوخ الزيتونة، كان عالماً لقراءات السّبع، ولي القضاء، وخطب في المساجد[32]، واشتهر بدروس التفسير قبل احتلال مدينة قَسَنْطِينَةَ[33] من طرف الاحتلال الفرنسي[34].
- محمد بن محمد العنابي (ت: 1836م)، فقد اشتهر بتدريس التفسير قبل نفيه من الجزائر عام 1830م، وتشهد مؤلفاته في غير التفسير أنه كان قادرا على وضع تفسير جامع لأن استشهاداته لقرآن كثيرة وثقافته الدينية عميقة، وقد كان جده أحد الذين تركوا تفسيرا مكتو خلال العهد العثماني[35].
- الأمير عبد القادر (ت: 1882م)، "كان يلقي دروس التفسير أثناء راحته وأمام جنوده، وكان يختار آ ت الجهاد والصبر ووصف المعارك وحياة الرسول ، ويستخلص منها العبر والمواعظ، وكان بيانه وحماسه يساعدانه على بلوغ قلوب المستمعين"[36]. وقد تناول تفسير بعض الآ ت في كتابه المواقف.
- محمد بن أبي القاسم الهاملي (ت: 1897 ه)، درّس التفسير في المسجد العتيق في الهامل، ذاع صيته في مدة وجيزة والهال عليه طلاب العلم الذي تجاوز عددهم 80 طالبا[37]، كما درّس التفسير من سنة 1863م إلى 1871م لطلبته في زاوية الهامل التي أنشأها[38].
- محمد بن مصطفى بن الخوجة (ت: 1915م)، هو العالم الشاعر الكاتب، تعلّم على ابن الخفاف، والشيخ محمد عبده، عُيّن مدرّسا بجامع سفير عام 1895م، درّس فيه التفسير، ونشر الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي بهد مقابلته على سبع نسخ مخطوطة[39].
- محمد بن عبد الرحمن الديسي (ت: 1921م)، عالم لقراءات السبع، وعارف بتفاسير الكتاب العزيز[40]، جلس للتدريس في زاوية الهمال التي تعجّ لعلماء والشعراء والأد ء، وعمره آنذاك 33 سنة، ومن ضمن سلاسل دروسه فيها دروس التفسير[41].

---

[31] أبو القاسم سعد ، ريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 9/7.

[32] أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1906م، ص267.

[33] تقع شمال شرق الجزائر، من المدن الجزائرية الكبرى، تلقب بمدينة الجسور المعلّقة لكثر الجسور فيها، وهي معقِل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

[34] أبو القاسم سعد ، ريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 10/7.

[35] المرجع نفسه، 10/7.

[36] أبو القاسم سعد ، ريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 9/7.

[37] محمد بن الحاج محمد، الزهر الباسم في ترجمة الإمام محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية التونسية، 1308 ه، ص11.

[38] عبد المنعم القاسمي، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، دار الخليل القاسمي، بوسعادة، ط2، 2013، ص121.

[39] معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مرجع سابق، ص335.

[40] أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مرجع سابق، 407/2.

[41] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، مطبعة التعاونية، الشام، ط: 1، 1965م، 65/1.

- محمد بن معنصر الميلي (ت: م)، بدأ تدريس التفسير سنة 1918 في الجامع الكبير بميلة، مبتد من سورة الفاتحة والبقرة. توظف رسميا ثم ترك ذلك الوظيف واشتغل لتدريس الحر، مكرساً جهده لتفسير القرآن الكريم، وقد قيل إنه كان ينزع إلى استخراج المعاني الجديدة من الآ ت التي يفسرها، ويتعمد ذكر الأمراض الاجتماعية[42].
- عبد الحليم بن سمّاية (ت: 1933م)، كان يدرّس التفسير للمسلمين في المدرسة الحكومية الفرنسية في القسم العالي منها[43]، كما كان له نشاط في التعليم المسجدي، وكانت دروسه عامة وخاصة، فقد سرد أحد تلامذته في المسجد أنه كان يقرأ عليهم في الدروس الخاصة جملة من الكتب في شتّى الفنون والعلوم، ومن ضمنها تفسير سورة البقرة من تفسير الجواهر الحسان للثعالبي[44]، وأما الدروس العامة التي كان يلقيها على عامة المجتمع فكان من ضمنها تفسير سور من القرآن الكريم[45]. وقد أُعجب الشيخ المفسّر محمد الخضر حسين بتفسير الشيخ عبد الحليم بن سمّاية[46].

وقد شارك أيضا في تدريس التفسير شفاهيّاً بعض من ذُكروا في قائمة المشتغلين لتفسير ليفاً، فزاوجوا بين التأليف والتدريس، ومنهم الشيخ محمد الزجّاي (ت: 1823م)، الذي اشتهر بمهنة التدريس[47]، فقد وُصف نه صاحب المجالس التفسيرية لجامع الأعظم[48].

وقد ذكر الدكتور أبو القاسم سعد جملةً من المشايخ الذين شاركوا في التدريس الشفاهي للتفسير في كتابه ريخ الجزائر الثقافي[49]، وهم القاضي حميدة بن محمد العاملي (ت: 1873م) الذي يعدّ من كبار فقهاء المالكية في وقته، وهو من المشاركين في حركة الإصلاح الاجتماعي لجزائر[50]. كذلك الشيخ حمدان الونيسي (ت: 1904م) أستاذ الشيخ عبد الحميد بن ديس، وزعيم الحركة القومية الإسلامية في الجزائر[51]. ثم الشيخ محمد الصّالح بن مهنّا (ت: 1910م) الذي مارس مهنة التدريس في زاوية الشيخ بلقاسم بوحجر، في المسجد الكبير بمدينة قَسَنْطِينَةَ، وكذا الزاوية الحنصالية أين يلقي الدروس لعامة المجتمع[52]. والشيخ عبد القادر المجاوي (ت: 1913م) الذي درّس لمسجد الكتاني، ثم المدرسة الكتانية، ثم المدرسة الثعالبية[53].

---

[42] أبو القاسم سعد ، ريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 12/7.

[43] مراد بن حمودة، النشاط الإصلاحي للشيخ عبد الحليم بن سمّاية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، عدد: 11، 2017م، ص202.

[44] عبد الرحمن الجيلالي، جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سمّاية السياسي والثقافي، مجلة الأصالة، عدد: 13، ص205-206.

[45] عبد الحميد زوزو، نصوص وو ثق في ريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص235.

[46] محمد الخضر الحسين وآخرون، خمس رحلات إلى الجزائر 1904-1932، تحرير وتقديم: محمد صالح الجابري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م، ص40.

[47] أبو القاسم سعد ، ريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 19/2.

[48] عبد الغاني عيساوي، أعلام التفسير في الجزائر، مرجع سابق، ص261.

[49] انظر: جزء 7، صفحة 10.

[50] معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مرجع سابق، ص242.

[51] المرجع نفسه، ص346.

[52] سليمان الصيد، صالح بن محمد مهنا القسنطيني حياته وتراثه، دار البعث، قسنطينة، ط: 1، 1983م، ص52-54.

[53] المرجع نفسه، ص286.

المطلب الثاني: التفسير في الجزائر قبل ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الفرع الأول: ملامح التفسير في الجزائر ما قبل الجمعية

ليس غريباً أن يكون الوضع العام للتفسير قبل الجمعية ضعيفاً، ذلك أن عواملاً مختلفةً كانت تُخيِّم على ذلك العصر؛ جعلت من حركة التفسير فيه جامدة تقليدية، وتُقتصَر على الدروس المسجدية، أو الزوا ، أو الخطب المنبرية، أو الأعياد، بل كان غير منظمٍ، إذ لم يكن لها منهج خاصٌ واضحُ المعالم، وإنما كان المفسِّر خذ آيةً مناسبةً للخطبة أو الدرس فيشرحها بحسب ما تسمح له قدرته اللغوية والثقافية[54]، ولأن ذلك الجيل من المفسّرين كان يتفادى التفسير المنظَّم ويكتفي بدروس الفقه خوفا من سلطات الاحتلال، أو عجزاً، لأن التفسير يحتاج من المدرِّس إلى اجتهاد كبير، وذاك ما لم يكن متوفرا عند الكثير من ذلك الجيل إلا ما ندر منهم[55]، وإن كانت مؤلفات التفسير معتبرة حسب ما تمّ سرده سابقاً، إلّا أنها كانت تقليديةً وأثرها كان ضعيفاً، وهذا ما كان يشكوه الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة (ت: 1915م)، فقد كان مل في تجدّد التفسير ليصبح هذا العلم وسيلةً وأداةً لعلاج مشكلات العصر الحديث، وهذا ما دفعه ليقول:

"فمن لكتابِ ا ّ يكشف سرّه *** ويشرحه وفق الفنون الحواضر"[56]

هذا هو الوضع العام الذي عانته حركة التفسير في الجزائر قبل جمعية العلماء المسلمين، ولعلّه يمكن تبرير هذا الضعف سواء في التأليف أو التدريس أو التأثير على المجتمع الجزائري متداد حالة الجمود والركود الثقافي الذي عرفته الجزائر في عهد العثمانيين الذي انتهي عام 1830م، "فالعثمانيون قد دافعوا في البداية عن الدين الإسلامي وشجعوا تيار التصوف في البلاد وأوقفوا بعض الأوقاف على المؤسسات الدينية وساهموا في بناء الزوا والمساجد والكتاتيب، فكأن نظرتهم إلى الدين في داخل البلاد كانت نظرة تعبدية محضة، وهي نظرة لم تستفد منها الثقافة على كل حال، فهم لم يؤسسوا جامعة كالقرويين أو الأزهر أو الزيتونة تبث العلم وتخرج العلماء والكتاب وتحفظ اللغة وتربي العقل"[57]، و لمقارنة مع الأندلسيين، فإن أبواب المد الثقافي والتيارات الجديدة قد أُغلِقت في العهد العثماني، واكتفى العلماء لمختصرات شرحا وتعليقا، وكان "الفقه والإنتاج الثقافي في العهد العثماني يغلب عليه التبعية والتقليد... حتى أصبحت دراسة الكتب هي الهدف، وضاع العلم واختفى الاجتهاد، وقد ثرت وضعية علم التفسير لركود العلمي الشامل الذي أصيبت به البلاد"[58]، فبقيت العقلية الجمودية في التفسير ببقاء ثقافة التحشية، وعدم وجود أيّ تصنيف يكون بريدا لعقلية تجديدية في التفسير وعلومِه[59]، ويظهر الأمر جليّاً في الإنتاج العلمي في علم التفسير عند بعض من تصدّى له، فالكثير منهم قد اكتفوا بوضع حواشٍ وتعليقاتٍ على تفسير البيضاوي، أو تفسير الجلالين، أو حتى على الكشّاف للزمخشري.

الفرع الثاني: أسباب جمود حركة التفسير في الجزائر قبل ميلاد جمعية العلماء المسلمين

---

[54] أبو القاسم سعد ، ريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 9/7.

[55] المرجع نفسه، 11/7.

[56] رضا، محمد رشيد، ريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، مطبعة المنار، مصر،1931م، 350/3.

[57] أبو القاسم سعد ، ريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 18/1.

[58] محمد بن رزق، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، ط: 1، 1426 ه، 1/95-96.

[59] عبد الغاني عيساوي، أعلام التفسير في الجزائر، مرجع سابق، ص276.

علاوة على ما تم ذكره من امتداد حالة الركود والجمود في التفسير في العهد العثماني إلى ما قبل جمعية العلماء، وتوقف النشاط التفسيري على الحشوِ والتكرير لما سبق، فإنّه لا يمنع أن تكون للإدارة الفرنسية دوراً رزاً في ضعف حركة التفسير وأثرها، بل كان لها اليد الطُّولى في ذلك، فقد كانت تضع قيوداً على عامة الدروس المسجدية، وعلى تناول الموضوعات المستمدة من القرآن خصوصاً، وتفسيرها بما يناسب مع روح العصر وحاجة الناس[60]، وقد يُستغرَب تخصيص الإدارة الفرنسية تضييقها على هذا النوع من الدروس، ذلك أن درس التفسير كان يرعب الجمعية ويهدد كيانها، ويدل على ذلك تصريح الحاكم الفرنسي بقوله: "إننا جئنا –أي الفرنسيون– إلى الجزائر لندفن القرآن لا ليحيا"[61]، وكذا تصريح أحد النوّاب الفرنسيين بقوله: "إن القرآن هو الذي يحرض المسلمين على إذاية الفرنسيين"[62]، ولا يقصد النائب هنا أن حروف القرآن هي التي تحرّض على الجهاد ضد المغتصب الفرنسي، لأن الإدارة الفرنسية لم تمنع تحفيظ القرآن الكريم، وإنما منعت تفسير القرآن الكريم، وهو الذي كانت ترى فيه المحرّض للجزائريين على القيام ضدّ احتلالهم، وإن سُمح لدرس التفسير أن يُعقد فإنه لا يتم إلا بإذنٍ من الإدارة الفرنسية، فقد كان تفسير الآ ت من القرآن الكريم يحتاج إلى رخصةٍ رسميةٍ، وكان يُشترط على المدِّرس اختيار الآ ت التي تناسب المقام، والتقيُّد لمرخَّص فيه في الرأي والاستنتاج[63]. وكانت آ ت الجهاد ممنوعاً لإطلاق تفسيرها.

إضافة إلى ما سبق فإن الوضع الاجتماعي الذي كان يعانيه العلماء والشيوخ كان له ثير قوي في هذا الركود، فمن جرّاء الحرب وأهوال الاحتلال هاجر العلماء وتشتّت كثير منهم، وارتحل بعضهم عن أراضيهم واشتدَّ الضيق ببعضهم حتى لم يعودوا يفكّرون في العلم والتعليم، واقتصر همُّهم على تحصيل القوت، فلم يحافظ على الحركة العلمية الإسلامية إلا بعض المدرّسين في المساجد وبعض الزّوا في جهات الجنوب وبلاد القبائل، أما المكاتب القرآنية فقد أخذت تتلاشى شيئا فشيئا إلى أن اضمحلّت من الوجود[64].

ومن بقي من الشيوخ المفسّرين مشتغلاً بمهنة التأليف في التفسير وتدريسه فإنه قد عانى من شحُّ الوسائل المتاحة آنذاك، فأما ما كان من التفسير الكتابي فقد ضاع أغلبه كما تمت الإشارة إليه سابقا، وأما المساجد فكان أغلبها مصادرا من طرف سلطات الاحتلال[65]، وما بقي منها مفتوحا للمسلمين الجزائريين فإن الأئمة فيها كانوا من تدبير وتوظيف سلطات الاحتلال التي سيطرت على دروس التفسير ومنهجها ونِتاجها. وأما الكتاتيب فكانت مِعقَلا لحفظ القرآن حروفا دون تفهميه حسب تقييم الجمعية لواقع الكتاتيب على أنها كانت تحفّظ القرآن ولا تفهّمه[66].

ويذكر الشيخ مبارك الميلي في كتابه رسالة الشرك ومظاهره أن بعض العلماء والمتصوفة قد عارضوا دروس التفسير بدعوى أن صوابه خطأ وأن خطأه كفر، و دى بعضهم لاكتفاء بما ألِّف الأوائل من تفاسير، وكانوا يخافون من الاجتهاد في هذا المجال، ومما يُذكر أن بعضهم قد كتب في جريدة النجاح أن الرجوع إلى الكتاب والسنة ضلال مبين وخسارة كبيرة! وعارضت

---

[60] أبو القاسم سعد ، ريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 10/7.

[61] مبارك الميلي، ابن ديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980م، ص40.

[62] المرجع نفسه، ص40.

[63] أبو القاسم سعد ، ريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، 11/7.

[64] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1984م، ص94.

[65] عمار بن مزوز، عبد الحميد بن ديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح، دار الأمل، الجزائر، 2010م، ص36.

[66] سجلّ مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتب، الجزائر، ص92-103.

بعض الزوا دروس التفسير في المساجد، وهي الدروس التي كان يقوم بها العلماء الأحرار، وأثناء إلقاء ابن ديس درسا في التفسير بجامع سيدي عقبة قام له أحد المدرسين وأحدث ضجة وأعلن أنه لا فائدة من التفسير، والأولى منه درس في مختصر خليل في الفقه[67].

خاتمة

في نهاية البحث، لابد من إجمال نتائج البحث وتوصياته، فأما أهم النتائج فهي:

- بلغ عدد المفسّرين الذين اشتغلوا لتفسير الكتابي في الجزائر –في حدود اطلاع الباحث– نحو 11 مفسّراً.
- ترك المفسِّرون الإحدى عشر المذكورون في البحث نحو 22 مؤلَّفا في التفسير، طُبِع منها القليل جدا، والباقي إما مخطوط وإما لا أثر له.
- أغلب التفاسير في ذلك العصر غير مكتملة، فإما هي تفاسير لبعض الآ ت والسور، أو أجزاء القرآن، ولم يكتمل منها إلا القليل.
- بعض التفاسير ما هي إلا حواشٍ على تفسير البيضاوي أو الكشاف.
- حركة التفسير في الجزائر من أواخر العهد العثماني إلى ما قبل ميلاد جمعية العلماء المسلمين كانت جامدة تقليدية وُصِفت لركود.
- وأسباب هذا الضعف والركود اشتركت فيه عدّة عوامل منها امتداد الركود الثقافي في العهد العثماني، وسياسة الاحتلال التي أثّرت على الأوضاع الدينية والاجتماعية والثقافية في المجتمع، والتي لَزِم منها توقيف نشاطات التفسير، وكبح نشاطات المفسرين. وغير ذلك مما هو مذكور في البحث من الأسباب التي حالت دون ارتقاء وتجدد حركة التفسير في الجزائر في فترة الحاجة الماسّة إليه في ظل الاحتلال الفرنسي.

وأما توصيات البحث فهي كالآتي:

- دراسة مناهج المفسّرين الذين طُبِعت تفاسيرهم، واستخلاص أسباب عدم ثر المجتمع الجزائري بها.
- الاستفادة من أسباب ضعف حركة التفسير في الجزائر في فترة أواخر العهد العثماني إلى ما قبل ميلاد جمعية العلماء المسلمين، بدراستها وتحليلها، لهدف اجتنابها.
- مقارنة حركة التفسير في الجزائر في الفترة المدروسة في هذا البحث مع حركة التفسير في عصر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لاستنباط مميّزات التفسير المؤثِّر على المجتمع.

أهم المراجع

[67] مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، دار الراية للنشر والتوزيع، 2001م، ص71-72.

أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانة، الجزائر، 1906م.

أبو القاسم سعد ، ريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.

أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحديث بفضل ربي ونعمته، تحقيق: محمد عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.

أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1984م.

بشير ضيف بن أبي بكر، فهرست معلمة النزاث الجزائري بين القديم والحديث، دار لة، الجزائر، ط: 3، 2007م.

حمد الخضر الحسين وآخرون، خمس رحلات إلى الجزائر 1904-1932، تحرير وتقديم: محمد صالح الجابري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م.

رضا، محمد رشيد، ريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، مطبعة المنار، مصر،1931م.

سجلّ مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتب، الجزائر.

سليمان الصيد، صالح بن محمد مهنا القسنطيني حياته وتراثه، دار البعث، قسنطينة، ط: 1، 1983م.

عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980م.

عبد الحميد زوزو، نصوص وو ئق في ريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

عبد الرحمن الجيلالي، جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سمّاية السياسي والثقافي، مجلة الأصالة، عدد: 13.

عبد الغاني عيساوي، أعلام التفسير في الجزائر، رسالة دكتوراه، 2016م.

عبد المنعم القاسمي، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد، دار الخليل القاسمي، بوسعادة، ط2، 2013.

عمار بن مزوز، عبد الحميد بن ديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح، دار الأمل، الجزائر، 2010م.

عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين التونسيين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م.

مبارك الميلي، ابن ديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980م.

مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق: أبو عبد الرحمن محمود، دار الراية للنشر والتوزيع، 2001م.

محمد بن الحاج محمد، الزهر الباسم في ترجمة الإمام محمد بن أبي القاسم، المطبعة الرسمية التونسية، 1308 ه.

محمد بن رزق، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، ط: 1، 1426 ه.

محمد بن موسى عمي وآخرون، معجم أعلام الإ ضية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 2000م.

محمد عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 2، 1982م.

محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، مطبعة التعاونية، الشام، ط: 1، 1965م.

محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م.

مختار البوعناني، اهتمام الجزائريين لقرآن الكريم –بيبليوغرافيا ط: 1، 2002م.

مراد بن حمودة، النشاط الإصلاحي للشيخ عبد الحليم بن سمّاية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، عدد: 11، 2017م.

يوسف بن بكير الحاج سعيد، ريخ بني ميزاب، المطبعة العربية، الجزائر، ط: 3، 2014م.

يوسف سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.